الفصل الثالث

الحلال والحرام

obeikandl.com

obeikandl.com

(المسلم يجب أن يكون قدوة في سلوكه ما دام قد أصبح مقرونًا بدين الإسلام، وقد قال ﷺ: «كل مسلم علي ثغرة من ثغرات دين الله»، والثغرة هي الفجوة التي في القيم يدخل منها خصوم الإسلام لهدم الإسلام).

الشيخ الشعراوي

obeikandl.com

obeikandl.com

كيف ارتبط أمر الله بافعل ولا تفعل بمسألة الحلال والحرام؟

ـ أحل الله أشياء وحرم أشياء أخرى؛ لأنه ـ سبحانه ـ الخالق الذى يجب أن نأخذ منه ما يُبقى لنا الحياة، وهو ما نفعله لأنفسنا حين نصنع آلة توفر علينا مجهود الحركة، فنصنع لها الطاقة اللازمة لتقوم بعملها، بحيث لا يستطيع المستعمل تغيير وقود تلك الآلة بوقود آخر، وإلا فإنها لن تؤدى وظيفتها.

وكذلك الخالق ـ سبحانه ـ حدد لنا ما يعيننا على الحركة فى الحياة بما أحل لنا من الطيبات، بحيث لا نتعداها إلى ما حرم الله، فلا نحلل ما حرم، ولا نحرم ما أحل، وإلا كنا معتدين، فيقول الحق: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾** ﴾ [المائدة: ٨٧].

فالحق هو الذى يأمرنا، ولم يزعم أحد غير الله أنه خلقنا، ولذا يجب أن نستمد حركة حياتنا من توجيهات الحق ومنهجه؛ لأنه الذى أخبرنا أنه خالقنا، ولم ينازعه أحد فى ذلك، وقد ترك

لنا الحق أشياء لم يأت فيها بحكم يحللها أو يحرمها، ولنا أن نفعلها أو لا نفعلها، وحدد لنا أشياء حرمها وأشياء حللها، فإن تجاوزنا الحلال إلى الحرام أو أدخلنا الحرام فى منطقة الحلال، نكون بذلك معتدين على منهج الحق ومتخذين لأنفسنا سلطة ليست لنا، فنحن لم نخلق أنفسنا لنضع ما يصلح لها، فاتركوا الآلة الإنسانية للحق يعطيها طاقتها ووقود بقائها فى الحياة؛ لأنه الذى خلقكم من عدم وأمدكم من عُدم وأعطاكم مقومات حياتكم، فلا تخالفوا أمره وتجعلوا من أنفسكم أوصياء على منهج الله، تحللون وتحرمون بأهوائكم، ذلك كما يدعى بعض الفاسقين أن فى الخمر علاجًا لبعض الأمراض إذا ما وصفها طبيب مسلم مؤتمن، فهل يجعل الله فيما حرم علاجًا وشفاء؟ ولو كان فيها علاج قبل أن ينهانا الحق عن الاقتراب منها، فإنه ينزعه منها بعد أن نهانا عنها؛ لأن الحق لا يجعل فيما حرم علاجًا أو دواء. ومن قال بغير ذلك فقد تجاوز الحد، مثل بعض الصحابة الذين حرموا على أنفسهم طيبات ما أحل الله، حينما سمعوا أن من النصارى من يأخذ نفسه بالرهبنة والزهد، فأخذوا على أنفسهم أن يكونوا مثلهم فى تحريم طيبات ما أحل الله، وأن يلبسوا المسوح، ويسيحوا فى الأرض، ويقوموا الليل فلا يناموا، ويعتزلوا النساء، ويصوموا الدهر. فلما سمع الرسول ﷺ بذلك قال: «أنا أصوم

وأفطر، وأتزوج النساء، وأقوم الليل وأنام، فمن رغب عن سنتى فليس منى».

ونقول لهؤلاء: إذا كنتم تفعلون مثل الرهبان أتصلون؟ إنكم تصلون، والصلاة ألا تحتاج إلى حركة، والحركة ألا تحتاج إلى طاقة وستر العورة؟ فمن أين تأكلون وتشربون؟ ومن أين تلبسون؟ إن الطعام والشراب واللباس، حتى يأتى لكم يحتاج إلى حركة ناس كثيرين، وحركة واسعة لا تشعرون بها إلا حين تريدون الثوب أو الطعام والشراب، فمن أراد الرهبنة فلا ينتفع بحركة المتحرك، فما دمت قد اعتزلت الحياة فلا تستفد بمن لم يعتزل الحياة.

لذا كان على ولى الأمر إذا أنشأ صناعة يحتاجها المجتمع ولم يقم بها أحد، فعليه أن يلزم بها المجتمع جبرًا، وإذا قام بها البعض سقط عن الآخرين، فلا تحرموا حلالاً أحله الله لخيركم وخير المجتمع؛ لأنكم إن فعلتم ذلك أخذتم صفة المشرع وهو الله، واعتديتم على حقه فى التحليل والتحريم.

وإذا كان الحق قد حلل أشياء، فلماذا حرم أشياء أخرى؟ إن ما أحله الله هو رزق مباشر لنا، وما حرمه يجب ألا ننظر إليه من زاوية الرزق المباشر، بل كوسيلة لرزق مباشر. فالثعبان تُستخدم سمومه لعلاج بعض الأمراض، والخنزير مهمته أن يأكل

القاذورات ليقضى؛ مع أكلها على الميكروبات التى تضر بالإنسان، فلا تقل بعد هذا لماذا خلق الله ما حرم؟ إنه خلقه لمهمة تريد أنت أن تجعل منها مهمة مباشرة، بينما خلقها الحق ليجعل لها مهمة غير مباشرة؛ حتى ينتظم الوجود كله.

ولو نظرنا إلى الغاية نجد أن كل حيوان له مهمته مع غيره من الحيوانات؛ لتؤدى لك الصلاح فيما يصلح لك، فلم يخلق الله شيئًا عبثًا قط.

فنأكل من رزق الله الحلال الطيب، والرزق هو ما ينتفع به: تأكله أو تشربه أو تلبسه أو تتعلمه وتستفيد به كالصفات الأخلاقية، مثل الحلم والشجاعة وغيرهما من الصفات التى تعتبر رزقًا، وإن لم تكن تؤكل أو تشرب أو تلبس. ولكن هل كل رزق حلال يؤكل كله؟ إن هناك نوعين من الرزق: رزق يؤكل، ولو تركت بعضه لا ينتفع به مثل «الدقيق»، ولكن أيضًا لا تأكله كله بل تدع بعضه للمحتاج الذى لا يقدر على الحركة، وهناك رزق آخر يؤكل ويصلح لإيجاد مثله كالقمح مثلاً، ثمرته تزرع لتنتج قمحًا جديدًا، وهذا يعنى أن تأكل من مثل هذا الرزق إلا بعضًا منه تحتفظ به؛ ليكون امتدادًا للرزق. وفى سورة يوسف بيان لهذه القضية. فى رؤيا الملك التى فسرها يوسف، فيقول الحق: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ**

سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ [يوسف: ٤٣].

وطلب الملك ممن حوله تفسيرها فقال: ﴿ يَأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٣] ، فماذا كان ردهم؟ ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ ﴾ [يوسف: ٤٤]. وهذا رد فيه تناقض فكيف يفتون أنها أضغاث أحلام، ثم يقولون لا نعرف التفسير؟ وجيء بيوسف ففسر الرؤيا بأن سبع سنوات رزق سيعقبهن سبع سنوات عجاف، ولذلك نصحهم كما ذكر القرآن ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [يوسف: ٤٧]. أى كلوا بعضه واتركوا بعضه؛ لاستبقاء النوع وللأكل منه فى أيام الجدب. وجاءت نصيحة يوسف بحفظ القمح فى سنبله، ليتبين حديثًا فى عصرنا أن أرقى أنواع الحفظ للقمح أو للذرة هو استبقاء الذرة فى غلافها واستبقاء القمح فى سنبله. إذن كانت نصيحة يوسف أن يستبقوا مما يزرعونه قليلاً والباقى يأكلوه، إذن فالمأكول ضائع، والمستثنى موجود ومحفوظ فى سنبله لزراعته فيما بعد، وهذا يعلمنا أن نفعل ذلك فى كل مزروعاتنا؛ لأنه ماذا سيكون الحال لو أكلنا مثلاً البطيخ و«قزقزنا» اللب؟ لن يكون هناك بطيخ نأكله بعد ذلك، وإنما نأكل بعضه، وندع بعضه

لنزرعه فيما بعد، وإذا كان لديك لحم فلا تأكله، بل دع بعضه لجيرانك المحتاجين، إذن فما تستبقيه إما لنفسك أو لنفع من يحتاج.

ومن الذى أمر بذلك؟ إنه الله.. آمنا به ووجب أن نطيعه ما دمنا قد قبلنا الإيمان به. يقول الحق: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٨] فلا غضاضة أن تتقى من آمنت به، ومتى تكون الغضاضة؟ ذلك عندما يكون مطلوبًا منك أن تؤمن بمن هو مساوٍ لك، وهنا يأتى النفور.

لذلك عندما تحدى موسى بعصاه قوم فرعون، ظنوا فى البداية أن القضية هى «موسى». ولكن عندما أيقنوا أن عصا موسى قد صارت «حية» حقيقية، بينما حبالهم وعصيهم يخيل إلى الناس من سحرهم أنها تسعى، وهى فى نظرهم عصى وحبال، توقفوا عن التحدى؛ لأنهم وجدوا أن القضية ليست قضية موسى وحده، وإنما كان معه ربه، فلذلك ما داموا قد وجدوا من لا يساويهم قالوا هذه مسألة أخرى، فآمنوا، ولم يعلنوا إيمانهم بموسى؛ لأنه مساوٍ لهم حتى لو كان رسولاً، ولكنهم أعلنوا قائلين إنهم آمنوا برب موسى؛ لأنه هو الحقيقة الكبرى التى لا يستطيعون تحديها أو الوقوف أمامها، فقالوا سمعًا وطاعة.

وإذا نظرنا أيضًا إلى قصة «بلقيس» ملكة «سبأ» مع نبى الله سليمان، وجدنا أنه عندما بعث إليها سليمان قائلاً: ﴿**أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾ [النمل: ٣١] فكان أن جمعت الملكة رجال جيشها تطلب منهم المشورة فى هذا الإنذار ﴿**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾**﴾ [النمل: ٣٢ - ٣٣] لقد قالوا لها إنهم عسكريون لا شأن لهم بالسياسة، والقرار السياسى من اختصاص الملكة. إذن فرجال القوة لا يقولون رأيًا، وإنما الرأى للسياسة، فلما أدارت بلقيس المسائل قررت إجراء اختبار لمعرفة من سيكون سليمان، هل هو ملك طالب دنيا، أم شىء آخر؟ فأرسلت إليه هدية، فلما وصلته قال: ﴿**بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**﴾ [النمل: ٣٦] فقد عرفت إذن أن سليمان صاحب منهج سماوى لا مطلب دنيوى، فوجدت أن الخضوع فى هذه الحالة ليس ذلة ما دام من الأدنى للأعلى، فآمنت وقالت: ﴿**وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [النمل: ٤٤] وقالت لقومها إنها لم تذلهم؛ لأنها آمنت بالأعلى وهو الله، فلا غضاضة فى ذلك، لهذا حينما يقول الحق: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي**

﴿أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٨] يريد أن يبين لك أنك لم تؤمن إلا لمن يستحق الإيمان.

لذلك من يرتد عن الإيمان ويكفر يكون جزاؤه القتل. لماذا؟ لأنه أتيح له الاختيار فى البداية أن يؤمن أو لا يؤمن، لذلك حينما يأتى الحكم بالقتل لمن كفر بعد الإيمان، فإن ذلك الحكم ليعلم من البداية كل من يؤمن أن الدين أثمن من حياته، فلا يدخل فيه إلا وهو معتقد تمام الاعتقاد ومؤمن تمام الإيمان بأن يأخذ كل أمر الله بثقة، فلا يجعل افعل مكان لا تفعل، أو لا تفعل مكان افعل ولا يسأل عن الحكمة وراء كل حكم؛ لأننا استأمنا الله على أنفسنا حين آمنا به.

* * *

obeikandl.com

تعدد الزوجات

*** ما تعليقك على قضية تعدد الزوجات التى يأخذها أعداء الإسلام مدخلاً للطعن فيه؟**

ـ يطالب الحق المؤمنين به ألا يجعلوا منهج الله لهم فى حركة حياتهم «عضين»، بمعنى ألا تأخذ حكمًا إن كان لصاحك وتترك حكمًا إن كان عليك، وإنما يجب أن تأخذ كل حكم جملة؛ لأن أى انحراف فى فرد من أفراد الأمة الإسلامية يصيب الأمة كلها.

فكل حق لك واجب عند غيرك، وإذا أردت أن تأخذ حقك فأدِّ واجبك. ونضرب لذلك مثلاً قرآنيا فى تعدد الزوجات فيقول الحق: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ [النساء: ٣]. وكلام الحق الحكيم يوضح للذين يأخذون حكم الله فى إباحة التعدد أن يأخذوا حكم الله أيضًا فى العدل، وإلا أعطوا خصوم الإسلام حججًا قوية فى إبدال ما شرع الله بحكم وإهمال حكم آخر، والعدل المطلوب بين الزوجات إذا أخذت بالتعدد هو

القسمة السوية فى كل شىء: فى المكان بحيث تأخذ كل واحدة من المتعددات مكانًا مساويًا للأخرى فى متاح المكان، والقسمة السوية فى الزمان بحيث إذا قضيت ساعة عند واحدة فللأخرى مثلها، والقسمة السوية فيما يخص الرجل من متاع نفسه، فلا يجعل شيئًا له قيمة عند واحدة وشيئًا آخر لا قيمة له عند الأخرى، وإذا لبست ملابس صوفية هنا فلا ترتدِ ملابس من نوع آخر هناك، وإذا لبست نعلاً أو حذاء فليكن عند الزوجة مثلما عند الأخرى لونًا وشكلاً وصنعًا واحدًا؛ لتساوى بين زوجاتك فى كل شىء. وذلك حتى لا تتدلل واحدة أو تعاير الأخرى.

وهذه العدالة المطلوبة هى فيما يدخل فى اختيارك؛ لأن ما لا يدخل فى اختيارك لست مكلفًا به، مثل مطلوبات «القلب»، لا يطلب الله منك أن تعدل فيما يتعلق به؛ لأنه ليست هناك قدرة منك على قلبك أن يهوى هذه مثل هذه أو أن يحب تلك الزوجة بقدر مساوٍ للأخرى، والرسول ﷺ كان يقول فى مسألة القلب بالنسبة إلى زوجاته: «اللهم هذا عدلى فيما أملك، فاغفر لى يا رب فيما لا أملك».

فأنت ترتاح نفسيا عند واحدة، ولا ترتاح عند الأخرى، فهذه مسألة لا تملكها، أما الذى تملكه فهو الأمر الظاهر السوية فى الكل فيما لك إرادة أن تفعله من عدل، وإذا كان هذا فى

النساء المتعددات، فما بالنا بأولادهن؟! فلابد أيضًا من العدالة بين الأبناء جميعًا من هذه الزوجة وتلك؛ لأن الذى يفسد الأمور هو أخذ الحكم بالتعدد، بينما الأولاد مشردون، فيأخذ ذلك علينا أعداء الإسلام؛ لأن المسلم يجب أن يكون قدوة فى سلوكه مادام قد أصبح محسوبًا على الإسلام.

وإذا كان الرسول وهو القدوة الحسنة لأمته قد توسع فى العدل بين زوجاته، فإنه لم يقف فى العدل عند قدرته، وإنما كان يتجاوز ذلك إلى ما فوق طاقته، فإذا مرض كان يطلب أن يحمل ليطاف به على نسائه؛ لأن هذا يشيع العدالة بينهن.

ومع ذلك حين ألزمت نفسك بواحدة، هل انتفت العدالة مع النفس الواحدة للنفس الواحدة؟ لا، فالعدالة كما هى مطلوبة فى التعدد مطلوبة أيضًا للزوجة الواحدة، وقد جاءت امرأة تشكو لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن زوجها لا يقربها، فقال عمر لأحد أصحابه وكان جالسًا: أفتها. فقال: نفترض أن زوجها متزوج من ثلاث، فكل ثلاث ليالٍ يعطيها الليلة الرابعة. فسر عمر من هذا الصحابى؛ لأنه عرف كيف يفتى. ولا تظنوا العدالة فى مثل القلب كما أوضحنا، وإنما فى الأمور الاختيارية، ولكن السطحيين يقولون: إن الله يطلب منكم العدل وفى نفس الوقت يحكم بأنكم لن تعدلوا مستدلين على ذلك بقول الحق: ﴿وَلَن

﴿تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ [النساء: ١٢٩].

ولكن المعنى الذى يجب أن نفهمه مما هو مقصود بكلام الله هذا هو أنكم لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء فيما لا تملكون من الهوى والميل للحب ولو حرصتم، فلا تميلوا كل الميل.

والذين يطلقون الحكم بوجود تناقض بين آيات القرآن الكريم غير واعين ويريدون أن يدلسوا على منهج الله.

والتعدد الذى أباحه الله يحسب للإسلام لا عليه، فإذا كان الرجل مزاجيا لا تشبعه امرأته، فهل من الأفضل أن يطلقها ويسرحها ليتزوج أخرى، أم يطلق غرائره فى أعراض الناس؟ إن التعدد أفضل؛ حتى لا يظلم الرجل زوجته وهو غير ميال إليها، فيطلب منه الله أن يظل معها ويتزوج بأخرى أفضل من أن يتجه إلى محرمات الناس وأعراضهم.

وقد لجأت بعض الدول الأوربية إلى إباحة التعدد، ليس لأن الإسلام نادى به،ولكن لأن الظروف ألجأتهم لإنهاء مسألة الخليلات والتلصص على أعراض الناس.

والقرآن حين أباح التعدد قيده بالعدالة، فيقول: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]، وهذا شىء يجب أن نتنبه

إليه، وهو أن التعدد لم يؤمر به كفرض وإنما أبيح، فمن تضايقه هذه المسألة فلا يعدد، والمباح هو رخصة تستعملها أو لا تستعملها.

ومبحث آخر لإباحة التعدد، هو أنه من الممكن أن يكون هناك فائض من النساء وقلة من الرجال.. فما الذى يحدث؟ إما أن هذا الفائض من النساء يكبتن غرائزهن كبتًا أو ينطلقن مع كل متزوج وتفسد المسائل، وإما أن يسمح للرجل بأن يتزوج أكثر من واحدة. إذن فالتعدد هنا جعله الله مندوحة لامتصاص الفائض ومنع الانحرافات كما أباح التزوج بملك اليمين فى قوله: ﴿**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ [النساء: ٣].

ولكن الآن لم يعد ملك اليمين موجودًا، فليس هناك أسرى من نساء العدو نتيجة انتصارات أو فتوحات، فقد خضع المسلمون واقتطعت دول من دولهم واجترأ عليهم الكفار. أما قديمًا فقد كانت هناك انتصارات إسلامية وفتوحات ونساء أسرى، فكان مباحًا للسيد أن يستمتع بما ملكت يمينه.

وقد عاب أعداء الإسلام هذه المسألة أيضًا على الإسلام، ولكنهم لم يفهموا أن الإسلام قد جاء ليصفى «الرق» لا ليوسعه، فبعد أن كان لتصفية «الرق» سبب واحد وهو إرادة السيد، وسع

الإسلام مصارف تصفية الرق: أى ذنب يقول اعتق رقبة، حنث فى اليمين، يقول اعتق رقبة، كل حاجة اعتق رقبة.. ذلك لأن الإسلام يريد تصفية الرق. ومع ذلك يأخذ الحمقى على الإسلام مسألة الرقيق، فنقول لهم أيها الحمقى لقد جاء الإسلام ليصفى الرق لا ليؤكده حينما جعل السيد ينكح ما ملكت يمينه، فإن هذا كما يقول الحق: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣] أى أقرب ألا تجوروا وتظلموا حين اكتفيتم بواحدة، وذلك أقرب ألا تجوروا وتظلموا حين نكحتم ما ملكت يمينكم؛ حتى لا تتركوهن عرضة للكبت وظلم غرائزهن. وهكذا يثبت الواقع والحقائق الجارية فى كل زمان صدق الإسلام وعلاجه لكل القضايا. وعلى كل مسلم أن يأخذ أحكام الله، فيطبقها كما أرادها الله؛ حتى لايترك سبيلاً لأعداء الإسلام أن يطعنوا فى الإسلام.

* * *

الباروكة والمساحيق

*** ما الحكم فى تقليد الرجال للنساء والعكس؟**

- ليس من شك فى أن المنتفع بالضلالة يريد الاحتفاظ بالضلالة مستمرة، فالمتاجرون بالمخدرات ومروجو السوق السوداء، والمشتغلون بفن الإثارة، والمحترفون للشعوذة، هؤلاء وغيرهم ممن هم على شاكلتهم من مصلحتهم أن يستمر الفساد فى الأرض؛ لأنهم يعيشون عليه وينتفعون به، فإذا ما امتدت يد لتكشف الضلالة وتزيح الفساد، هاج هؤلاء وماجوا.

فعندما ندعو إلى تطبيق منهج الله فى الأرض يقولون إن تطبيق المنهج يعنى قطع يد السارق. وهذا مما يؤدى إلى قطع أيدى الناس وتعطل حركة العمل فى المجتمع، وكأنهم يكلمون من لا عقل له، وهم أول من يعرف أن حدود الله قد أحاطها الله بضوابط لا يمكن تنفيذها إلا بها؛ لأن الفطرة السليمة هى الأمانة، والفطرة السليمة هى الحلال، بدليل أن الذى يصنع شيئًا مخالفًا للفطرة يحاول أن يتلصص ويتستر، فالسارق يحاول أن يتخفى عن الأعين؛ حتى لا تراه، والناظر إلى غير محارمه

يتكلف وينظر وهو يتلفت يمينًا وشمالاً ليرى إن كان أحد يراه أم لا، ففطرة الله هى الأصل فى الإنسان، يعنى لو وجد إنسان فى بيئة لا تكذب فإنه لا يعرف الكذب ولن يعرفه، ومن وجد فى بيئة لا تعرف السرقة فإنه سينشأ لا يعرف ماذا تكون السرقة؛ لأنها فطرة الله التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله. وأى تغيير طارئ يفعله الإنسان على الفطرة يصبح تغييرًا لفطرة الله الصافية السليمة، وهو القائل: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فهو الخالق لكل شىء بقدر وميزان، لم يخلق شيئًا قط عبثًا كيفما اتفق، ولكنه يخلق بحكمة واقتدار. وكل الخلق مخلوق لله، ومعنى الخلق إيجاد من عدم، إلا أن المخلوق مخلوق لغاية متقدمة على الخلق، فلا يخلق الله شيئًا ثم يبحث عن الغاية، وإنما خلق الله خلقه عن قصد لغاية محددة موجودة فى ذهن الخالق، فإذا ما استعملنا المخلوق لغير الغاية فإننا نكون قد غيرنا خلق الله. وانظر إلى الرجل يتخلى عن مقومات رجولته فيلبس مثل ملابس النساء ويطيل شعره مثلهن. إنه بذلك يخرج عن دائرة رجولته. وانظر إلى المرأة تقص شعرها وتقلد الرجال مسترجلة، وفى ذلك تغيير لخلق الله. وكل من يغير خلق الله ملعون على لسان رسول الله ﷺ المبلغ عن الله، فلعنَ الرجل الذى يلبس ملابس المرأة، والمرأة التى تلبس ملابس الرجال،

فيتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وهؤلاء ملعونون من الله ورسوله؛ لأن أولئك هم المخنثون من الرجال والمسترجلات من النساء الذين يغيرون خلق الله.

وعندما تجد رجلاً قصيرًا ـ هكذا خلقه الله ـ تراه ينتعل حذاءً ذا كعب عالٍ؛ كى يصبح أكثر طولاً. وبدلاً من أن يحترم قدر الله فيه، يحاول أن يغير خلق الله فيه، فيصبح أضحوكة. وهذا الذى فقد بصره يحاول أن يخفى ذلك بنظارة سوداء! أأنت تضحك بذلك على نفسك أم على الناس أم على الله؟ وهذا كله من إضلال الشيطان للناس.

يقول الحق سبحانه: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: ١١٧ - ١١٩] والشيطان رغم أنه عدو ظاهر العداوة، فإنه يأمر الناس ويتبعونه حتى فى تغيير خلق الله، فتجد المرأة تنزع حاجبيها وترسمهما بالقلم، مع أنه قد يكون سر جمالها فى حاجبيها الكثيفين، ومن تعمل لنفسها عملية تجميل، ومن تلجأ لجراحة التجميل؛ لأن

أنفها قصير فتطيله، أو طويل فتقصره، مع أن ما خلقه الله عليه قد يكون هو سر جاذبيتها وجمالها. ويقولون إن الملكة المصرية «كليوباترا» كان أنفها هو سر جمالها، ولو كان قصيراً بعض الشيء لتغير وجه التاريخ. وتجد امرأة أخرى تريد أن تجعل «خدها» مثل الوردة، فتقوم «بتلطيخه» أحمر. فمن تخدع؟! ألا يعرف الناس أنها تتجمل مغيِّرة خلق الله؟ حتى إذا كبرت فى السن تكون المساحيق قد سدت مسام جلدها وغطت منافذه، فيصبح وجهها كئيبًا. كذلك الأظافر لونها الذى خلقه الله عليه معمول لحكمة، فتأتى النساء وتلون الأظافر بألوان وأشكال، فتحرمها من أن تتنسم الهواء. وهل يظن إنسان أن هذا لون أظافرها؟! واللائى يضعن «الوشم» لو يعلم الله أن هذا الوشم الذى تعمله سيعطيها جمالاً لخلقها به، ولكنهن يغيرن خلق الله.

ومن العجب أن أول من تستغفله المرأة بما تفعله من تغيير خلقتها هو الذى يعجب بها، لذلك كل من يغير خلقة الله ملعون مطرود من رحمة الله؛ لأنك على من تضحك ومن تخدع!

يقول الحق: ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ۝٩﴾ [البقرة: ٩] والنساء بوجه خاص عليهن ألا يخدعن غيرهن من الرجال بإظهار خلقة غير التى خلقها الله لهن، فقد جاءت امرأة تسأل النبىﷺ قائلة له: «إن

ابنتى أصابتها الحصبة فتمرق شعرها. (انتشر وتساقط) وإنى زوَّجتها أفأصل فيه؟» (أجعل لها شعرًا مصطنعًا يعنى ما نسميه الآن باروكة) فقال لها ﷺ: «لعن الله الواصلة (التى تصل شعرها أو شعر غيرها بشعر آخر) والموصولة (التى يوصل شعرها) والمستوصلة». (التى تسأل من يفعل لها ذلك وهو «الكوافير» المعروف الآن).

كذلك يدخل فى زمرة المغيرين لخلق الله الملعونين من الله ورسوله «النامصة»،وهى التى تأخذ من شعر حاجب غيرها وترققه ليصير حسنًا، «والمتنمصة»، التى تأمر من يفعل بها ذلك، و «المتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله»، و«المتفلجة» أى التى تبرد من أسنانها؛ ليتباعد بعضها عن بعض قليلاً، فتعمل فرقًا بين الأسنان. وهذا ما يفعله بعض الرجال أيضًا!

كل هذه الأنواع وما شابهها، من يفعلها أو يأتها متبع للشيطان؛ لأنه لم يعجبه خلق الله فيغيره، ولو علم الناس أن ما خلقهم الله عليه إنما لحكمة يعلمها وقد نجهلها، لشكروا الله على ما خلقهم عليه، وقد نرى رجلاً لا تعجبه امرأة تعجب رجلاً آخر غيره، فالله قد وزع الأمزجة ووزع الجمال ووزع النعم على خلقه. ما من إنسان به نقص فى شىء إلا عوضه الله عنه بشىء آخر كنبوغ أو موهبة،فلنحترم خلق الله فى أنفسنا ولا يحاول أحد

أن يأخذ مهمة الثانى، فلا يجوز أن تتحول المرأة رجلاً والرجل امرأة، فلكلٍّ مهمته التى خلقه الله لها، فلا يجب أن تغير المرأة فى شكلها وخلقتها لفتًا للأنظار واستدرارًا للإعجاب، فيطمع الذى فى قلبه مرض.

وعلى المرأة أن تفهم أن الدين لا يعاندها، فأنا أضمن استقامتك، ولكنى لا أضمن كل من رآك فى الشارع أن يكون كذلك. أنت قد تكونين ملتزمة وليس منك أى شىء، إنما هل الذى يراك كذلك؟

ومن الشرف والكرامة لك أن كرمك الله وجعلك سيدة بيت تقومين على توفير الرعاية والتربية لأبناء الأمة. فلو وفرت وقت العمل لإعطاء أبنائك وبناتك دروسًا بدلاً من الدروس الخصوصية، وتعلمت الخياطة؛ لأن «المغزل» فى يد المرأة «كالسيف» فى يد المجاهد، فهذا أجدى لك وأنفع من إهانة نفسك فى زحام المواصلات وتحمل مشاق العمل الذى يتحمله الرجال بصعوبة، ولتبقين سكنًا لزوجك كما أراد الله، وراعية لأكرم خلق الله على الله وهو الإنسان.

ولكنهم أادوا للمرأة غير ذلك، بخلوا عليها بعرق حياتهم، فأحبوا أن تشقى وتعرق، وشجعوها على أن تخرج متبرجة، ووجدت من يشجعها على ذلك من بيوت الأزياء والموضة،

وجعلوها ألعوبة «وفرجة» ودمية للإثارة والإغراء، وشجعوها باسم المساواة على أن تتخلى عن بيتها وأسرتها، وإذا قلنا التزمى بيتك أشرف لك، ورحنا نقنعها بما فى الكتاب والسنة هاجوا وماجوا؛ لأنهم لن يجدوا من يستهلك عطورهم وأزياءهم وألوانهم وموضاتهم، فتمسحوا فى التقدمية، واتهموا من ينادى بما أمر الله بالرجعية.

* * *

obeikandl.com

قضية عمل المرأة

*** زدنا يا فضيلة الشيخ فى مفهومكم لقضية عمل المرأة من عدمه؟**

- كرم الله المرأة كما لم يكرم جنسًا آخر؛ لأنها الوعاء الحاضن لأكرم خلق الله على الله وهو النفس البشرية.. الإنسان الذى اختاره الله ليكون خليفته فى الأرض وإعمار الكون وإذا كانت مهمة الرجل مع الأجناس الدنيا فى الحياة: مع الجماد يعمل، ومع النبات يزرع، ومع الحيوان يربيه، فقد جعل الله مجال المرأة مع الإنسان، فهل هناك تكريم للمرأة أكثر من أن الحق - سبحانه وتعالى - جعلها الحاضنة لأكرم مخلوقاته؟

انظر لطفولات بقية الأجناس، تجد الطفولة فى الحيوان عدة أيام، وتمتد إلى شهر، والطفولة فى النبات تصل إلى سبع سنين. أما طفولة الإنسان فممتدة إلى أربع عشرة سنة، وهى فترة طويلة. لماذا؟ لأن مهمته جليلة، فيأخذ خلال هذه الفترة نضج ما حوله ليكون سلوكياته، وهو خلال تلك الفترة يكون فى حضن أمه، بينما الأب يكدح فى الحياة ويأتى للزوجة ويسكن عندها.

ولذلك حكم القاضى للزوجة عندما احتكم الزوج والزوجة أمام القاضى بعد انفصالهما حول من هو أحق بحضانة الطفل. قالت الأم: لقد حمله خفا ـ فى ظهره لا يدرى به ـ وحملته ثقلا فى بطنى، ووضعه شهوة، ووضعته كرها على كره. لذلك كرم الله المرأة، وأوصى بها، كما أوصى رسوله بأكثر مما يوصى بالرجل. وكانت توصية الله ورسوله بالمرأة كأم بأكثر مما يوصى بالرجل كأب، وليس ذلك انتقاصًا من قيمة الأب فى حياة الأبناء، ولكن لأن الأبناء حينما يكبرون ويشبون لا يرون إلا فضل الآباء عليهم يكدحون ويجيئون لهم بكل متطلبات الحياة، بينما دور المرأة الأم غير منظور؛ لأن فضلها لم يشعر به الأبناء؛ لأنهم كانوا أطفالاً لم يدركوا كيف حملت الأم بهم وكيف عانت فى وضعهم وكيف سهرت الليالى من أجلهم، كل هذا لا يدركه الابن؛ لأنه يكون صغيرًا، ولكنه يدرك فقط فضل الأب، ولذلك فإن الله أراد أن ينبه الأبناء إلى عِظَم فضل أمهاتهم عليهم، فبث فى آيات القرآن الكريم الدعوة للبر بها والإحسان إليها، فكرمها كأم؛ لأن هذه هى وظيفتها الكبرى، وكرمها كامرأة، وجعل لها سورة خاصة بها، هى سورة «النساء».

ولم يجعل سورة للرجال، وجعل الأحكام الخاصة بالنساء متضمنة فى كثير من سور القرآن مثل «الأحزاب» و «المائدة» و

«المجادلة» و «الطلاق» و«التحريم» وغيرها، وجعل قدوة الاصطفاء فى الرسالات والتكليفات «امرأة عمران» التى نذرت لله ما فى بطنها، فكانت «مريم» خير نساء العالمين، فهذا التكريم الإلهى من الحق ـ سبحانه وتعالى ـ للمرأة ليس له شبيه ولا نظير فى أى مجتمع آخر غير المجتمع الإسلامى.

فإذا جاء من يقول بأن المرأة المسلمة ينقصها حق من حقوقها، وخروجها إلى العمل هو استكمال لهذا الحق الناقص وذروة التكريم لها، فإننا نقول له: ليس خروج المرأة للعمل تكريمًا لها، بل إهانة وإخراج عن مهمتها الحقيقية فى رعاية الجنس البشرى الذى كرمه الله وأكرم المرأة باحتضانه وتربيته، ولكن ليس معنى هذا أن المرأة يحرم عليها أن تعمل، فلها أن تعمل مع أبيها أو زوجها أو مع أولادها أو مع محارمها، دون أن تتعرض للاختلاط بغير هؤلاء المحارم؛ حتى لا تفسد الأمور. وإلا قولوا لى ما علاقة العمل بخروج المرأة كاشفة كل مفاتنها؟ هل هذا مما يتطلبه العمل؟ وما علاقة العلم بخروج بناتنا بالزينة والبهرجة التى يخرجن بها إلى الجامعة؟! لقد أصبح خروج المرأة فتنة لا علاقة لها بذات العمل ولا بذات العلم. وليست المرأة مكلفة بأن تنفق على نفسها أو تنفق على غيرها، وإنما الذى يتكفل بها وينفق عليها هو الرجل، تلك مهمته فى الحياة أن يشقى ويتحرك ليعود

ويجد الراحة والسكن والهدوء عند امرأته. ولكن إذا تخلى المجتمع عن المرأة وأصبح الأزواج يحثونها على الخروج للعمل ويقفون منها موقفًا سيئًا مستكثرين عليها أن يتكفلوا بها، أو ينفقوا عليها، فإن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ قد حدد الشروط التى بسببها تخرج المرأة إلى العمل كما وضحها رب العزة فى قصة موسى التى جاءت فى سورة «القصص»، حيث يقول الحق: ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا** ﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤].

وتأمل هنا موقف المرأتين أمام جمع الناس الذين يسقون، وقفتا ﴿ **دُونِهِمُ** ﴾ أى بعيدًا عنهم، و ﴿ **تَذُودَانِ** ﴾ أى تبعدان ماشيتهما وتمنعانها من الاقتراب من الماء؛ حتى لا تحتكا ببقية الناس، فسألهما موسى: ﴿ **مَا خَطْبُكُمَا** ﴾ ما حكايتكما؟ قالتا: لا نسقى حتى يصدر الرعاء.

لقد خرجت المرأتان للعمل، ولكن وراء خروجهما سبب قوى هو ﴿ **وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾ فليس هناك من يتكفلون بهما، فخرجتا مضطرتين إلى العمل، ولم تتخذا من الخروج إلى العمل

مبررًا للاختلاط بالرجال، فوقفتا بعيدًا حتى ينتهوا من السقيا. ثم انظر إلى مهمة المجتمع الإسلامى حينما يرى امرأة خرجت إلى العمل لابد أن يعرف الضرورة التى ألجأت هذه المرأة للخروج إلى العمل، ثم يقضى لها حاجتها، وهذا ما فعله موسى عليه السلام.

ثم نبه القرآن الكريم على المرأة أن تنتهز الفرصة إذا جاءتها لتمتنع عن الخروج ولا تدع الفرصة تفوتها ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦] المرأة نفسها طلبت استئجار رجل وهو «موسى»؛ كى لا تخرج، ولكى تعود إلى طبيعتها كأنثى. وهنا فهم الأب المعنى والمغزى، وأخذ الأمور بحزم الأب الذى يجب أن يتصف به كل أب مسلم، ولم يدع غريبًا يدخل بيته ويخرج منه مع وجود بنات له، وهذا سيجعل الضرر أكثر مما لو خرجت الفتاتان إلى العمل، فقرر الأب أن يزوج هذا الغريب وهو «موسى» إحدى ابنتيه، وليس فى هذا خروج عن الطبيعة البشرية، فمن عادة الأب أن يخطب لابنه، ولكن القرآن فى قصة موسى لا يمانع أبدًا فى أن يخطب الأب لابنته من يثق برجولته وأمانته ودينه وخلقه، ويتكفل بابنته، وتسمو رجولته عن أن يترك امرأته تعمل فى الخارج لكى تعينه على العيش.

*** نحن نعرف أن النساء فى عهد الرسول ﷺ كان لهن نشاط، فمنهن من كانت تفتى ومنهن من كانت تداوى الجرحى، مما يدل على أن المرأة كانت تخرج لتؤدى أعمالاً خارج بيتها.**

ـ تذهب لتداوى الجرحى لا أن ترفه عن الجنود، فمن فى وقت الحرب الدائرة بالسيوف بين الأعداء، وهناك المقتول والمجروح، من الذى يعاكس و«يبصبص» فى هذا الوقت؟ لقد كانت المرأة فى عهد الرسول للمداواة. أما الآن فهى للترفيه.

وفى عهد الرسول ﷺ كانت «أسماء» فى معركة، وجاء واحد من الكفار يصول ويجول، فخافت أسماء منه أن يعتدى على حريم المسلمين، فقالت لحسان بن ثابت: انزل فاقتل هذا الرجل. فقال لها: يا هذه، أنا لست من أهل قتال. فأخذت السيف منه ونزلت، فقتلت الفارس، ثم رجعت، وقالت لحسان: اذهب يا حسان، فاسلبه، ولولا أنه رجل لسلبته. حتى بعد قتله تخشى الاقتراب من الرجل.

* * *

*** ما حكم التمثيل بالنسبة إلى المرأة، خاصة وأنه نشر على لسانك أنك قلت لإحدي الممثلات «توكلى على الله»؟**

ـ لقد قلت إن عمل المرأة التى تحتاج فيه حرمة، فكيف أقول

لامرأة تمثل توكلى على الله؟!

يا أخى، أنا لا أعرف لماذا يتجنى الناس علىَّ ويقولون عنى ما لم أقله.

مسألة التمثيل سبق أن قلت رأيى فيها بصراحة، قلت: امرأة متزوجة فى الحقيقة ولها أولاد، ثم تأتى فى الفيلم ويعقد قرانها على شخص آخر وتنام فى أحضانه.. ما هذا؟ هذا مخالف للإسلام.

وقلت فى هذا الموضوع وأقول: كل ما يحل واقعًا يحل تمثيلاً، وما لا يحل واقعًا لا يحل تمثيلاً، ولذلك فلا يجوز مثلاً أن أزوج امرأة متزوجة.

*** ما الذى يصح فى التمثيل من وجهة نظر فضيلتكم؟**

- من يسدى لابنه النصيحة، أو يوجه جماعة إلى توجيه طيب، أو لص سرق وجاءت العدالة واقتصت منه مهما استطاع إخفاء الجريمة... الخ.

*** إذن معنى ذلك أنكم تؤيدون موضوع التمثيل إذا كان الغرض منه تقديم صورة مفيدة للإنسان؟**

- لابد من ذلك..

وعاد الشيخ مرة أخرى إلى مسألة عمل المرأة فى الفن فقال: ارجع إلى الفنانين الذين هداهم الله، واسألهم عن حلاوة الإيمان، فلو كان للفن المزعوم حلاوة أكثر من حلاوة الإيمان، لعادوا إلى الفن.

إذن المسألة ليست فى تبرير أعمال ترضى بها النفس وتغضب بها الله. لا.. المسألة أكثر من ذلك.

*** كان أبرز مثال لمن زاركم من الفنانين الفنانة شادية وقد أقلعت عن الغناء.. فهل الغناء أيضًا حرام؟**

ـ اسمع يا أخى.. كل شىء فى حد ذاته حسنه حسن، إلا إذا خرج حسنه فصار قبيحًا، حينئذ يصبح حرامًا. وكذلك الغناء الذى يخرج الجسم عن وقاره، وتحرك به الشهوات والغرائز يصبح حرامًا، وما ينطبق على الغناء ينطبق على الموسيقى، وينطبق على الرقص. القاعدة هى «كل شىء حسنه حسن وقبيحه قبيح».

* * *

بل هي قسمة عادلة

*** ما حكم من يجورون فى القسمة بين الإخوة ولا يرضون بقسمة الله فى المواريث؟**

- انظر إلى نموذجين فى المجتمع: أخوين أحدهما لا يرغب فى المدرسة. وإذا أيقظوه ليذهب إليها قام بصعوبة متلكئًا. وإذا خرج لا يذهب إلى المدرسة و«يتسكع»، ويلعب هنا وهناك ويذهب للسينما، أو يجلس على القهوة، فى حين أخوه يصحو مبكرًا ويذهب إلى المدرسة ويجدُّ فى دروسه ويتعب ويسهر.

وظاهر الأمر أن كلا الأخوين يحب نفسه ويرجو الراحة لها، كل بطريقته، ولكن الأخ الأول يحب نفسه حبا متدنيًا، ويريحها راحة مؤقتة وزائلة؛ لأنه كم سيرتاح؟ ١٤ أو ١٥ سنة مدة الدراسة التى لم يفلح فيها، ولكنه فى النهاية يصير خائبًا وخاسرًا، ويصبح صعلوكًا من صعاليك المجتمع.

أما الأخ الآخر الذى أتعب نفسه فى المدرسة وذاكر، فظاهر الأمر أنه يتعب نفسه، ولكنه تعب مؤقت وزائل؛ لأنه يرجو لنفسه بعد ذلك راحة مستمرة؛ ويصبح نابغًا له مكانته بين الناس

فى المجتمع.

فإياك والحكم بظواهر الأشياء وأخذ ما ليس لك بحق؛ لأنه قد يعطيك مكسبًا عاجلاً، ولكنه يورثك شرا أجلاً، والرسول ﷺ قد حذرنا من هذا، فيقول لكل من يريدون الاختصام إليه: «إنما أنا بشر. وإنكم تختصمون إلىَّ. ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته (يعنى لسانه بليغ وبيانه مقنع يعمى المسائل فأنا أحكم بظاهر الحجة) فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا، فلا يأخذه؛ إنما أقطع له قطعة من النار».

ولذلك حينما برر بعض الصحابة قتلهم لرجل من الكفار نطق بالشهادتين، بحجة أنه قالها نفاقًا لينقذ نفسه من القتل؛ تبرأ الرسول ﷺ منهم وقال لهم: «هل شققتم عن قلبه»؟ ذلك لأن السرائر لله. ونحن كبشر نحكم بالظاهر، وحتى يكون الحكم صحيحًا فالحق ـ سبحانه وتعالى ـ ينهانا عن ظاهرة «النفاق» فى الكون؛ لأن النفاق فوائده موقوتة بعمر كل إنسان وعمر كل إنسان مهما طال فهو قصير، وبعدها يشقى؛ لأنك إن كنت كتمت أو أخفيت حقا أو أخذت ما ليس لك بحق، فإن الله الذى يعلم السرائر يظهر ما تكتمه وما تخفيه، ويورثك شقاء بما أخذت من غير حقك. ولذلك ننبه بعض الناس الذين لا يرضون قسمة الله فى المواريث، فيعطون الذكور أو بعض أبنائهم أكثر من البعض

الآخر أو يحرمون بعضهم، ولو كان الذكر أو الابن يعلم قسمة الله فى الأشياء لقال لوالده: «ارحمنى ولا تعطنى فوق ما قسم الله لى».

والحق يقول: ﴿ **آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا** ﴾ [النساء: ١١] يعنى يا ناس تنبهوا إلى أن آباءكم لا ينفعونكم إذا انحازوا إليكم وغيروا قسمة اللَّه لكم، ويا آباء لا تظنوا أنكم بمحاباتكم لبعض أبنائكم على البعض الآخر تنفعونهم، بل إنكم تضرونهم، وتنبهوا إلى أن من تحبونه يجب ألا تظلموا له الناس؛ لأن هذا يغرس بذور الحقد والكراهية، ويعمل على تقطيع الأرحام، وعلى من قسم له أبوه قسمة فى الميراث ظالمة تجاوز فيها حكم اللَّه، عليه أن يأتى برجولة إيمانية ويقول لإخوته وأقاربه والناس: «أنا أرضى بقسمة رب أبى، ولا أرضى بقسمة أبى»، ويترك ما زاد عن حقه لمن يستحقونه، رضاء بقسمة اللَّه.

*** كيف يمكن الرد على ذوى الفهم الضيق الذين يرون فى قضية المواريث الخاصة بالذكر والأنثى قسمة غير متوازنة؟**

ـ يقول الحق: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء: ١١].

فالحق يوصينا بأولادنا فكيف ذلك؟ سبحان اللَّه! كأننا عند ربنا أحب إليه من عند آبائنا. وانظروا إلى الدقة القرآنية ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي...**﴾ مع أن مادة الوصية تأتى بالباء مثل قوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥١] ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا**﴾ [الشورى: ١٣] وقال: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ**﴾ [لقمان: ١٤] كلها بالباء. ولكن عندما جاء بالوصية فى الأولاد قال: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ**﴾ [النساء: ١١] فجاء بالفاء، فكأن الوصية مضمونة فى الأولاد، وما هو مضمون الوصية؟ مضمونها للذكر مثل حظ الأنثيين، ولكن لماذا لم يقل الحق «للأنثيين مثل الذكر»، وقال: «الأنثيين» للذكر مثل حظ «الأنثيين»؟ ذلك لأن الحق أراد أن يكون المكيال المنسوب إليه الرجل هو الأنثى؛ لأنه لو قال: «وللأنثيين مثل حظ الرجل» فإن المقياس سيكون هو الرجل، ولكن الحق جعل المقياس للمرأة، غير أن الذين يحبون

أن ينفخوا فى المرأة يقولون لها هذا هو أول ظلم لك فطالبى بالمساواة.

ولننظر عندما يكون للذكر مثل حظ الأنثيين، هل يكون هذا ظلمًا للمرأة أم لا؟ فالذكر مطلوب له زوجة ينفق هو عليها، والأنثى مطلوب لها ذكر ينفق عليها، لو كانت منفردة يكفيها نصيبها من بيت أبيها، ولو تزوجت يبقى لها نصيبها مما يتركه أبوها بعد وفاته إضافة لإنفاق زوجها عليها، وما رتبه لها القرآن من نصيب فى إرث زوجها بعد وفاته، فهل فى هذا جور أو محاباة للرجل؟ لا. لأن الحق أولاً جعل للمرأة المكيال الذى يرد له الأمر، وجعل لها ذكرًا ينفق عليها سواء فى بيت أبيها أو بيت زوجها، فما تأخذ من نصف حظ الذكر خالص لها، وكان يجب أن يقال: لماذا حابى اللَّه المرأة؟ ذلك لأنها عرضة لئلاَّ تتزوج فتجد ما تنفقه، وإن تزوجت يصبح لها فضل غنى، فإن المرأة غير مظلومة كما يروج السطحيون ويغررون بها فى غير حق.

* * *

أبناء شحاذين صاروا أغنياء

*** ما رأى فضيلتكم فيمن يتركون لأبنائهم ما يضمن معيشتهم بعد مماتهم وآخرين يتركون أبناءهم عند حد الكفاف؟**

ـ إياكم أبدًا أن يحتاط أب لأبنائه بعد مماته بمكسب جمعه من حرام، فهناك أبناء تركهم آباؤهم «شحاتين» فصاروا أغنياء، واقرءوا معى هذه القصة:

عندما تولى «أبو جعفر المنصور» مُلك الدولة العباسية، جاء الناس يهنئونه. ولما حضر «مقاتل بن سليمان» وكان رجلاً صالحًا، قال «أبو جعفر المنصور» لمن حوله: لقد جاء ليعكر علينا صفو يومنا، وسأبدؤه قبل أن يبدأنا؛ لتبقى لنا الحجة وننتهى منه.

وقال «أبو جعفر المنصور»: «عظنا يا مقاتل» فقال مقاتل: «أأعظك بما رأيت أم بما سمعت»؟

وأضاف: «يا أمير المؤمنين، مات الأمير عمر بن عبد العزيز وقد ترك أحد عشر ولدًا وتسعة عشر دينارًا، كفن منها بخمسة، وأشترى له قبر بأربعة، ثم وزع الباقى على ورثته.

ومات الأمير هشام بن عبد الملك، وكان نصيب إحدى زوجاته الأربع ثمانين ألف دينار، غير الضياع والقصور. ووالله - يا أمير المؤمنين - لقد رأيت بعينى هاتين فى يوم واحد ولدًا من ولد عمر بن عبد العزيز يحمل على مائة فرس فى سبيل الله، ورأيت ولدًا من ولد هشام بن عبد الملك يسأل فى الطريق».

فلماذا جعل الله مثل هذا المثل بين الناس؟ ذلك ليتأدبوا، ويتركوا الأمر لله فى أحكامه فيما يورث، وفي غيرها من الأحكام؛ لأن الخبيث يذهب ولو أعجبك كثرة الخبيث. ولو تدبرنا أحكام الله بعقولنا بعيدًا عن أهوائنا لتوصلنا إلى أنها الحكم الحق، وإذا كانت «الحبة» المزروعة فى الأرض تعطى سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة، فكم يعطيك خالقها إذا أقبلت عليه مخلصًا مستقيمًا وكل أعمالك خير، وتركت أولادك فقراء، فإن الله يغنيهم من بعدك بفضل ما تركته من رصيد الخير والصلاح فى حياتك.

أما إن أقبلت على الله بشرورك وآثامك وارتكاب المحرمات والكسب من غير الطريق المشروع، فإنك مهما تركت أبناءك أغنياء فسوف يفقرهم الله من بعدك؛ لأن رصيدك من الشرور أزال البركة مما تركته، فمحاه ولو كان كثيرًا. وهذا لتعلموا أن الآباء لا يضمنون لأبنائهم الستر بعدهم. والرسول ﷺ قد حذرنا فقال:

«شركم من ترك عياله بخير وأقبل على اللَّه بشر». فعلى الأبناء الذين اصطلوا بشرور آبائهم، فقسموا قسمة غير التى قسمها اللَّه أن يراجعوا المسألة؛ لأن آباءهم لم يفعلوا لهم ذلك إلا بحكم أحمق، فليجازوا آباءهم بالعودة إلى حكم اللَّه وتطهير أموالهم بالصدقة والزكاة؛ ليرحموا آباءهم ويرفعوا عنهم العذاب.

* * *

obeikandl.com

العبد الصالح فى قصة البقرة والقرية اللئيمة

*** ما هو أفضل ميراث يتركه الآباء لأبنائهم؟**

ـ قال عمرو بن العاص لمعاوية بن أبى سفيان: «ماذا بقى لك من حظ الدنيا؟

فقال: «أما الطعام فقد مللت أطيبه، وأما اللباس فقد سئمت ألينه، وحظى الآن فى شربة ماء بارد فى ظل شجرة فى يوم صائف».

هكذا كان مراد معاوية من دنياه التى دانت له بالملك والفخامة، ثم سأل معاوية:

«وأنت يا عمرو، ماذا بقى لك من حظ الدنيا؟»

فقال عمرو: «عين فرارة فى أرض فوارة تدر على فى حياتى ولولدى بعد مماتى».

فعمرو يريد أرضًا مثمرة بها عين ماء تدر عليه الرزق فى

obeikandl.com

حياته ولذريته من بعده.

وقد كان مع معاوية وعمرو خادم لهما، فنظر معاوية إلى الخادم وكان اسمه «وردان» وأراد مداعبته فقال له: «يا وردان، ماذا بقى لك من متع الدنيا؟» فانظروا ماذا كان رد الخادم؟ لقد قال: «بقى لى من متع الدنيا - يا أمير المؤمنين - صنيعة معروف أضعها فى أعناق قوم كرام لا يؤدونها إلىَّ طوال حياتى حتى تكون لعقبى فى عقبهم». فقد أراد هذا الخادم أن يترك فى دنياه معروفًا وعملاً صالحًا وتقوى بين الناس تبقى لذريته من بعده رصيدًا إيمانيا عند اللَّه يرزق به أولاده ولا يعانون فى حياتهم.

وفى القرآن الكريم أكثر من دليل على أن من يتقى اللَّه فى حياته يوقف اللَّه له تقواه من بعده لأبنائه، تحفظ عليهم رزقهم وحياتهم وإن كانوا ضعافًا، فيقول الحق: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ**﴾ [النساء: ٩] فضمنوا أن اللَّه يرزق أولادهم فيمن يتقى اللَّه فى ذريتهم الضعيفة، وانظروا فى قصص القرآن الكريم تجدوا مصداق هذا.

ففى قصة البقرة عندما قُتل واحد من بنى إسرائيل لم يستَدل على قاتله، فطلب موسى من قومه على لسان ربه أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعض أجزائها فيحيا بإذن اللَّه ويدلهم على من

قتله، ولكن بنى إسرائيل تشددوا فشدد اللَّه عليهم، فراحوا يسألون موسى أسئلة لا لزوم لها عن ماهية البقرة ولونها وصفاتها، وبعد كل هذا قالوا لموسى: ﴿**الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [البقرة: ٧١] كأن موسى لم يجئ لهم بالحق، وموسى يقول لهم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً**﴾ [البقرة: ٦٧] . فموسى لم يقل من ذاته ولكنه يبلغهم أوامر ربه.

وراح بنو إسرائيل يبحثون عن البقرة بما أخبرهم به موسى عن ربه من أوصافها، حتى عثروا عليها بعد جهد وعناء، وكان يكفيهم أن يذبحوا أية بقرة، ولكن نتيجة للجاجتهم وتعنتهم وتشددهم شدد اللَّه عليهم. وهذا التشديد كان لمصلحة ابن رجل صالح مات واستودع اللَّه بقرة لابنه، فكانت هذه البقرة تهيم على وجهها . . تأكل من أرض اللَّه، وتمنع أى إنسان من أن يمسك بها؛ لأن اللَّه مانعها، استجابة من اللَّه لدعوة الرجل الصالح أن يبقى اللَّه البقرة أمانة عنده حتى يكبر ابنه ويطلبها، فيجدها بعد أن دلته أمه على مكانها، حتى جاء بنو إسرائيل يريدون شراء هذه البقرة، وكلما عرضوا ثمنًا لها كان ابن الرجل الصالح فى كل مرة يتركهم ليستشير أمه. نعم أليس ابنًا صالحًا من رجل صالح؟

وظل بنو إسرائيل يساومونه على الثمن حتى أعيتهم الحيل؛ لأنه متمسك بمشاورة أمه وطاعتها التى كانت تطلب منه فى كل مرة زيادة ثمن البقرة حتى اشتروها بملء جلدها ذهبًا، فكان هذا رزقًا مضمونًا من اللَّه لهذا الابن الذى اتقى والده الصالح ربه فيه.

وانظروا إلى قصة أخرى من القصص الحق يرويها القرآن الكريم، وهى قصة العبد الصالح مع موسى الذى ظن أنه أعلم أهل الأرض، فأراد اللَّه أن يعطيه درسًا ويعلمه أن من خَلْقِ اللَّه من غير الأنبياء من هو أعلم منه، فدله على «الخضر».. ذلك العبد الصالح الذى قال اللَّه عنه: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾ [الكهف: ٦٥].

فصحبه موسى ليتعلم منه. وكان من المشاهد التى يرويها الحق ـ سبحانه ـ قوله: ﴿**فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا**﴾ [الكهف: ٧٧]. فهى إذن قرية لئيمة ويقول الحق: ﴿ **فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ**﴾ [الكهف: ٧٧] فاعترض موسى؛ لأن عنده حفيظة على أهل هذه القرية؛ فقد طلب هو والعبد الصالح طعامًا فلم تعطهم القرية، ولذا فقد أراد موسى ألا يقيم العبد الصالح هذا الجدار الذى يريد

أن ينقض إلا بأجر ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، ولكن غاب عن موسى ما لم يغب عن العبد الصالح، فيقول الحق على لسان العبد الصالح فيما فسره لموسى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

لو أن العبد الصالح ترك الجدار حتى ينهار، ألم يكن أهل هذه القرية سيأخذون الكنز؟ لذلك قال العبد الصالح: إننى أقمت الجدار حتى أخبئ الكنز عن أهل القرية اللئيمة، حتى يكبر اليتيمان ويأخذا كنزهما، إذن فقد عاقب العبد الصالح أهل القرية العقاب الذى يستحقونه نظير لؤمهم، وكافأ الغلامين اليتيمين. ولماذا يكافئهما؟ لقد بيَّن الحيثية فى قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] اتقى اللَّه فيما فى يده، فبعث اللَّه جنودًا لم يرها الأب لضمان رزق ولديه.

* * *

أموال اليتامى

* كيف نظر الإسلام إلى اليتيم والذين يأكلون أمواله؟

ـ من قضايا القرآن التى اهتم بها العناية باليتيم الذى أوضح الرسول ﷺ أن من يمسح على رأس اليتيم حبا وحنانًا يجعل اللَّه له بكل شعرة مستها يده من شعر رأس اليتيم حسنة، وجعل الحق من يظلم اليتيم ويأكل حقوقه كأنه يأكل نارًا، فيقول الحق: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠] لأن من يستولى على مال اليتيم ويأكل به فكأنما يضع فى بطنه ما يؤدى به إلى النار يوم القيامة، ويكون لأكله مال اليتيم علامات وسمات، فيخرج دخان من أفواههم.

ولماذا هذا التشديد على حفظ مال اليتيم وإكرامه؟ لأن الحق يريد من خلقه أن يستقبلوا قدر اللَّه فيمن يحبون وفيمن يحتاجون إليهم، فإذا كان صغيرًا ويرى أباه يأتى له بالحلو كله ويراه يموت ثم يأتى المجتمع ليكفله، فقد عوضه اللَّه بآباء إيمانيين متعددين، فيستقبل اليتيم المصيبة برضا، فقد ذهب أبوه ،لكن كل المسلمين

قد أتوه ليكونوا آباء له يتكفلون به وبقضاء مصالحه، فتشيع الرحمة فى المجتمع، ويشيع الحب، ولا يبقى حقد ممن فقد أباه على من لم يفقدوا آباءهم.

* * *

obeikandl.com

كلمة لن يقولها بشر لبشر

*** كيف تكون صيانة النعمة؟**

إن أصحاب العقول الحقة لا ينشغلون بالنعمة عن المنعم، وإذا ما أخذ إنسان نعمة اللَّه التى سبقت وجوده فى الدنيا فغفل عن صاحب النعمة ومانحها وهو اللَّه، فإن النعمة لا تعطيه البركة ولا تكون كل حركته تأتى بخير، وإنما يعطيه اللَّه الأسباب والمسببات ولا يعطيه الخير؛ لأنه غفل عن المنعم.

ولذلك فمن واجبك أن تقرن كل نعمة بقولك: «ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه»، فكأنما هى مشيئة اللَّه وقوته التى ساقت لك النعمة، ولهذا فإن نعمتك إن تذكرت فيها مشيئة اللَّه المنعم وقوته لا ترى فيها سوءًا أبدًا؛ لأنك رددتها إلى خالقها فضمنت بذلك صيانتها، وإنك لترى فى سورة الكهف قصة رجلين أحدهما اغتر بالنعمة والآخر تذكر المنعم. ورغم تحذير الرجل المؤمن لصاحبه من المصير الذى سيؤول إليه إذا استمر على كفره وغفلته للمنعم، فإنه لم يلتفت للتحذير وأخذته العزة بالإثم، وتحققت نبوءة الرجل المؤمن لصاحبه الذى كفر بنعمة اللَّه، فيقول الحق: ﴿**وَأُحِيطَ**

﴿بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: ٤٢] وراح يندم حيث لا ينفع الندم ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٢، ٤٣].

وعبرة هذه القصة القرآنية هى ألا يغتر أحد بوجود النعمة، فتنسيه وجود المنعم، ولكن عليك أن ترد النعمة لصاحبها وهو الحق ـ سبحانه ـ فيزيدك خيرًا ويزيد نعمتك بركة. وهذا هو معنى قول الحق: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وأما إن لم تشكروا فنحن نعطيكم الأسباب، ولكن لا نعطيكم البركة، بل تكون النعمة نقمة وحسرة، ولكنا كمؤمنين علينا أن نكون من هؤلاء الذين ذكرهم اللَّه فى قرآنه فى قوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١].

* * *

لماذا لا تقال كلمة «سبحانك» إلا لله؟

ـ سبحانك لأنك حق وخلقت الأرض والسموات بالحق ووضعت لها قوانينها ونواميسها بالحق، فوجب أن نستقبل هذا الكون المخلوق بحق، بشكر الحق ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ**﴾ [آل عمران: ١٩١]. وسبحانك لا تقال إلا للَّه ـ سبحانه وتعالى ـ عند ذكر أى نعمة منسوبة إلى اللَّه، لم يقلها «سُبْحَانَكَ» بشر لبشر، ولن يقولها بشر لبشر حتى قيام الساعة، وإنما تقال للحق الأعلى فى كل نعمة وكل أمر خارق أو معجز، تقول: «سبحان اللَّه». وهذه هى عظمة الحق، فرغم أن الحق جعل الإنسان مختارًا فإنه ليس اختيارًا مطلقًا، فأنت مختار أن تتمرد على اللَّه، ولكن هناك أشياء أنت خاضع فيها لإرادة الحق ولا تستطيع أن تتمرد عليه فيها، فمثلاً اسم «اللَّه» هل تجرأ أحد وأطلقه على أحد من أبنائه؟ لم يجرؤ أى كافر فى أى عصر، ولن يجرؤ كافر فى العصور المقبلة إلى قيام الساعة أن يطلق اسم «اللَّه» على إنسان؛ لأنه يعرف أن اللَّه حق، مع أنه يعاند ويكابر. ولو لم يعلم أن اللَّه حق لتجرأ على اسمه وأطلقه على ولد من أولاده، ولكن لأنه يعرف أن مصيبة سوف تقع له لم يفعلها.

كذلك كلمة «سبحانك» لم يقلها بشر لبشر «فسبحان فى سبحان» كما قال أحد الصالحين، فإن كلمة «سبحان» تتأملها وتقول فيها «سبحان اللَّه» الذى لم يجعلها لأحد غيره، فسبحانه وتعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذلك لم يخلق شيئًا باطلاً قط، فحق شكر اللَّه قولاً وعملاً وتأملاً وتفكرًا فى عظمة الخالق. والتفكر والتأمل هما أساس الشكر وعين العبادة. إن رسول اللَّه ﷺ هو الذى قد غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما جاء فى قول الحق لرسوله: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢**﴾ [الفتح: ١، ٢].

رغم هذا فإنه ﷺ كان يقوم فى جوف الليل يبكى ويثنى على اللَّه ويحمده ويبكى حتى تبتل الأرض من بكائه، فيجيئه «ابن أم مكتوم» ينبهه إلى أن وقت الصلاة قد حان، فيراه وهو يبكى، فيقول له: «ما يبكيك يا رسول اللَّه؟ ألم يغفر اللَّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟» فيقول له ﷺ: «ألا أكون عبدًا شكورًا».

وهذا أبو بكر الصديق الذى قال عنه الرسول إنه لو وضع إيمان أمة محمد فى كفة ميزان، ووضع إيمان أبى بكر فى الكفة الأخرى، لرجحت كفة أبى بكر، وأبوبكر فى مكانته ومنزلته تلك

يقول: «واللَّه لو أن إحدى قدمى فى الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر اللَّه؛ لأنه لا يأمن مكر اللَّه إلا القوم الكافرون». أبو بكر يقول هذا متذكرًا قدرة اللَّه عليه غير مغتر أو راكن إلى شهادة رسول اللَّه له. فما أجدرنا ألا تنسينا الصحة يومًا نمرض فيه، وألا تنسينا النعمة يومًا يصيبنا الفقر فيه؛ وما أجدرنا بالعودة إلى الحق نعيش فى نعمه غير منفصلين عنه سبحانه؛ لأنه المنعم الذى كما أعطى يأخذ وكما منح يمنع، فهو الذى يعز من يشاء. ويذل من يشاء، فلا يظن أحد أنه خارج عن إرادة اللَّه أبدًا.

ولكن قد يسأل سائل: ولماذا يرزق اللَّه الكافر؟ لأن اللَّه خلق الناس جميعًا كافرهم ومؤمنهم، وما دام اللَّه قد استدعى الناس جميعًا إلى الوجود، فهو متكفل برزقهم؛ لأنهم لم يستدعوا أنفسهم، وكون هذا إنسانًا كافرًا فكفره لنفسه، والمؤمن أيضًا إيمانه لنفسه، واللَّه قد خلق الأسباب، ومن يأخذ بها وينفعل معها، تنفعل معه وتعطه، بصرف النظر عن كفره أو إيمانه.

ولذلك حينما قال خليل اللَّه إبراهيم فيما جاء فى قول الحق: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ [البقرة: ١٢٦] نجد أن الحق نبه إبراهيم إلى أنه لا يرزق المؤمن فقط، ولكن أيضًا يقول الحق: ﴿ **وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ**

﴿الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦] فالكافر يستمتع بخيرات اللَّه ونعم الدنيا، ولكنه متاع قليل بالقياس إلى ما أعده اللَّه للمؤمنين به من نعيم الآخرة، في جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال رسول اللَّه ﷺ؛ لأن متعة الدنيا مؤقتة ومتعة الآخرة أبدية، ومتعة الدنيا تكتنفها الآلام ولن تضمن استمرارها. أما متعة الآخرة فبلا آلام، واللَّه يضمن لك استمرارها. وحتى يتحقق ذلك فإن اللَّه يريد أن يعطيك مناعة بالإسلام، إن جاءتك نعمة شكرتها، وإن زالت صبرت على زوالها، وهكذا يعلمك اللَّه استدامة صلتك به.

* * *

obeikandl.com

الأمن من الخوف

*** كيف يأمن الإنسان من الخوف؟**

يقول الحق سبحانه: ﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: ٣٨].

فقد استخلف اللَّه الإنسان فى الأرض ليعمرها، منذ أوجد اللَّه آدم فى الأرض، بعد أن أهبطه هو وزوجه إليها محملين بمنهج الهدى الذى من اتبعه وسار عليه عاش فى غير خوف وغير حزن أبدًا، لذلك فإن المسلم الحق هو الذى يسلم وجهه إلى الحق - تبارك وتعالى - مسلمًا إليه كل أموره، فتستقيم كل أموره ومعاملاته، ويصبح منسجمًا مع الكون عبادة وعملاً وحسن استخلاف فى الأرض، فيحبه اللَّه، ويحبه خلق اللَّه، ويوضع له القبول فى الأرض والسماء؛ لأنه أحسن سره وعلانيته مع الخالق والمخلوق، فتراه دائمًا مستقيمًا فى كل تصرفاته ومعاملاته، متبعًا قول رسولنا ﷺ: «إنما الدين المعاملة».

وأساس المعاملة فى الإسلام هو رضا النفوس بما لا يغضب

اللَّه، أى بمالا يحلل حرامًا أو يحرم حلالاً، عند ذلك لا يتملك المسلم خوف ولا حزن أبدًا؛ لأنه يتبع هدى اللَّه ومنهجه. وصدق وعد الحق ـ سبحانه ـ لعباده منذ أن هبط آدم وزوجه إلى الأرض ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

والخوف هو خطأ ترتكبه وتخاف اكتشافه، ولكن الإنسان الذى يعيش مع منهج اللَّه طيعًا لا يخاف؛ لأنه لم يغشَّ ولم يرتشِ ولم يؤذِ أحدًا ولم يسلك سلوكًا يغضب ربه، فلا خوف ولا حزن أيضًا؛ لأن الإنسان يحزن لافتقاد شىء سار، والعبد الذى يعيش مع منهج اللَّه يعيش فى سرور دائم.

* * *